

الدروس الدعوية من خطبة حجة الوداع

جمع وإعداد

الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ سَيِّئِهِ وَمَوْلَاهُ

ظَافِرُ بْنُ حَسَنٍ آلِ جَبْعَانَ

www.aljebaan.com

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣]

المقدمة

أولاً: خطبة الحاجة:

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد^(١): فإن اصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ - إن دراسة سيرة النبي ﷺ من أهم ما ينبغي الاهتمام به في هذا الزمن، الذي ظهر فيه البعد عن السنة، وقلة التمسك بها.

٢ - أن خطبة الوداع درس عظيم للأمة يحتاج إلى تأمل ودراسة شرعية تربوية دعوية.

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ﷺ، وهي في الابتداء عامة، في خطبة النكاح وغيرها، أخرجها الإمام أحمد (٢٧٢/٥ رقم ٣٧٢١)، وابن ماجه في كتاب النكاح باب: خطبة النكاح (١/٦٠٩ رقم ١٨٩٢)، والترمذي في كتاب النكاح باب: ما جاء في خطبة النكاح (٣/٤٠٤ رقم ١١٠٥)، والنسائي في كتاب النكاح باب: ما يستحب من الكلام عند النكاح (٦/٣٩٧ رقم ٣٢٧٧)، ولها شاهد في صحيح مسلم كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/٥٩٣ رقم ٨٦٨)، وللشيخ الألباني رسالة لطيفة اسمها (خطبة الحاجة) فلتنظر.

٣ - أنها الأساس الذي تنطلق منه الدعوة إلى الله تعالى، لترسيخ النبي ﷺ فيها لأساسيات التعامل والعمل.

٤ - المشاركة في عمل يكون صدقة جارية يجري نفعها للعبد حياً وميتاً، وهذه الصدقة الجارية العلم النافع، وأسأل الله أن تكون هذه الدراسة من العلم الذي يبقى أجره إلى يوم الدين.

ثالثاً: منهج الدراسة:

وقد سرت في هذا البحث على ما يلي:

١ - جمع متن خطبة الوداع من كتب السنة المشرفة، وجعلها في سياق واحد.

٢ - ضبط متن الحديث بالشكل.

٣ - تخريج الحديث، من مظانه بذكر الكتاب والباب، ورقم الجزء والصفحة ورقم الحديث وهذا خاص بالكتب الستة، وأما غيرها فأعتمد الجزء والصفحة فقط، وقد أذكر أحياناً رقم الحديث.

٤ - إذا كان الحديث في الصحيحين أكتفي بالإشارة إليهما، ولا أخرج الحديث من غيرهما، فأكتفي بهما لصحتهما.

رابعاً: خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وقسمين وخاتمة.

أما المقدمة فتشتمل على:

أولاً: خطبة الحاجة.

ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثالثاً: منهج البحث.

رابعاً: خطة البحث.

القسم الأول:

الحديث وتخریجه وفيه ثلاثة مباحث:

ويشتمل هذا القسم:

الأول: جمع حديث خطبة الوداع، بجميع ألفاظها.

الثاني: سبب تسمية هذه الخطبة العظيمة بخطبة حجة الوداع.

الثالث: أهمية الخطبة في الإسلام.

القسم الثاني:

دراسة الخطبة دراسة دعوية تطبيقية وهي كالتالي:

- ١- تهيئة الجو المناسب للدعوة.
- ٢- أحسن أساليب الدعوة، الدعوة بالقول.
- ٣- اختيار الوقت المناسب.
- ٤- ترك التكلف حال الدعوة إلى الله تعالى.
- ٥- الصوت المناسب حال الدعوة.
- ٦- استخدام أسلوب السكينة اللطيفة عند الإلقاء.
- ٧- ليست الدعوة محصورة بالقول.
- ٨- البدء بالحمد لله، والصلاة والسلام على النبي ﷺ.
- ٩- براعة الاستهلال.
- ١٠- إشراك المدعوين في الدعوة عن طريق الحوار.
- ١١- اختيار الموضوع المناسب.
- ١٢- استيعاب المدعوين بالدعوة.
- ١٣- لا مانع من التصريح أحياناً للمصلحة.
- ١٤- ضرب المثال.

- ١٥- استخدام الإشارة.
 - ١٦- استخدام التكرار.
 - ١٧- استقبال المدعوين بالوجه.
 - ١٨- الدعاء للمدعو.
 - ١٩- إجابة السائل بأكثر مما سأل ليستفيد ويستفيد غيره.
 - ٢٠- الرفق في التعامل مع المدعوين.
 - ٢١- استخدام أسلوب الترغيب.
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج، وإحصائية لمجموع ما تم دراسته من أحاديث وآثار.
- الفهارس:
- ١ - فهرس المصادر والمراجع.
 - ٢ - فهرس الموضوعات.



خامساً:

التمهيد

ومن هذه الأحاديث: خطبة النبي ﷺ يوم الحج الأكبر، وهذه الخطبة العظيمة تشتمل على أمور مهمة في حياة المسلم، لأنها تمثل بيان ركائز الإسلام، والإيمان، وعلاقة الناس ببعضهم، ونظامهم الاقتصادي، وألفتهم ومحبتهم، وحقوق الرجال والنساء، كل ذلك بأسلوب نبوي حكيم، وخطاب فريد. وإن جمع هذه الخطبة في مكان واحد ودراستها؛ مساهمة في العلم، ليعم النفع للباحث أو القارئ في استنباط الفوائد والحكم منها.

القسم الأول:

الحديث وتخريجه وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: جمع حديث خطبة الوداع، بجميع ألفاظها.

الثاني: سبب تسمية هذه الخطبة العظيمة بخطبة حجة الوداع.

الثالث: أهمية الخطبة في الإسلام.

المبحث الأول:

جمع حديث خطبة الوداع بجميع ألفاظها:

تمهيد:

هذه الخطبة العظيمة جاءت عن النبي ﷺ بألفاظ كثيرة رويت عن عدد من الصحابة الكرام ﷺ، ويعود تعدد ألفاظها لأسباب منها:

أولاً: الحفظ وعدمه من الصحابة ﷺ، فمنهم من يحفظ، ومنهم من ينسى كما قال حذيفة ابن اليمان ﷺ عندما روى حديث الفتن قال: (فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا)^(١)، وسيأتينا في خطبة الوداع من قوله ﷺ ما يبين ذلك فقد قال ﷺ: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرُ فِقْهِي، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ».

ثانياً: كذلك لأن كل واحد منهم ﷺ يروي ما رأى وسمع، ولذلك اشتهر عند العلماء مقولة: "من علم حجة على من لم يعلم"؛ ولهذا تعدد النقل لألفاظ النبي ﷺ في خطبته، مع أنه ﷺ لم يحج إلا هذه الحجة الوحيدة.

جمع ألفاظ خطبة الوداع:

هذه الخطبة العظيمة: خطبة حجة الوداع رواها وجمعها جمع من أهل المتون الحديثية، وهنا سأجمع ما صحَّ من رواياتهم في سياق واحد ليسهل تصور الخطبة واستنباط الأحكام والحكم والفوائد منها، وقد روى هذه الخطبة عدد من الصحابة ﷺ ومنهم: جابر بن عبد الله الأنصاري، وجريير بن عبد الله البجلي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، ورافع بن عمرو المزني، وأبي أمامة الباهلي، وأبي بكرة الأنصاري، والبراء بن عازب، وجبير بن مطعم، وأهرماس بن زيد الباهلي، وعمرو بن الأحوص، وأم حصين ﷺ.

جاء من رواية جريير بن عبد الله البجلي ﷺ أن النبي ﷺ قال له يوم خطبة الوداع: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ»^(٢)، فخطبهم يوم النحر^(٣)، حين ارتفع الضحى^(٤)، بين الجمرات^(٥)، على ناقته العضباء واضعاً

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٢١٧/٤ برقم: ٢٨٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: الانصات إلى العلماء (٥٦١/١ برقم: ١٢١، ٤١٤٣، ٦٤٧٥، ٦٦٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان معنى قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً» (٢٢١٧/٤ برقم: ٢٨٩٢) من حديث جريير ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الفتيا على الدابة عند الجمرة (٦١٩/٢ برقم: ١٦٥٠)، ومسلم في كتاب الحج، باب: من حلق قبل النحر، ومن نحر قبل الرمي (٩٤٨/٢ برقم: ١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب: أي وقت يخطب يوم النحر (٦٠١/١ برقم: ١٩٥٦) من حديث رافع بن عمرو المزني ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى (٦٢٠/٢ برقم: ١٦٥٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

رجليه في الغرز يتناول ليسمع الناس^(١)، مردفًا أسامة بن زيد رضي الله عنه، وأسامة رافع عليه ثوبه يظله من الحر، وبلال أخذ بقود راحلته^(٢)، والناس بين قائم وقاعد^(٣)، فحمد الله وأثنى عليه^(٤)، قال: «الزَّمانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلَدَةُ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَخْسَبُهُ قَالَ وَأَعْرَاضُكُمْ - عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٥)، «أَلَا لَا يَجْنِي جَانٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا وَلَدٌ عَلَى وَالِدِهِ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ، فَلَيْسَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَحَلَّ مِنْ نَفْسِهِ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ، غَيْرَ رَبِّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ دَمٍ أَضْعُ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلْتَهُ هُذَيْلٌ، أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ

(١) أخرجه أحمد (٧/٥)، (٢٦٢/٥)، وأبو داود في كتاب المناسك، باب: من قال خطب يوم النحر (٦٠١/١) برقم: (١٩٥٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٣١٠/٤) برقم: (٢٩٥٣)، والطبراني في الكبير (١٥٤/٨) من حديث الهرماس بن زياد الباهلي رضي الله عنه، وأبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب: الركوب إلى الجمار واستظلال الحرم (٢٦٩/٥) برقم: (٣٠٦٠) من حديث أم حصين رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب: أي وقت يخطب يوم النحر (٦٠١/١) برقم: (١٩٥٦) من حديث رافع بن عمرو المزني رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٢٨٢/٤)، والترمذي في كتاب الرضاع، باب: ما جاء في المرأة على زوجها (٤٦٧/٣) برقم: (١١٦٣)، والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب: الركوب إلى الجمار واستظلال الحرم (٢٦٩/٥) برقم: (٣٠٦٠)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب: حق المرأة على زوجها (٥٩٤/١) برقم: (١٨٥١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وعمرو بن الأحوص رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى (٦٢٠/٢) برقم: (١٦٥٤)، ومسلم في كتاب القسامة والحدادين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٣٠٥/٣) برقم: (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

مِنْهُمْ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِئَنَّ فَرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَإِنْ حَقَّهِنَّ عَلَيْكُمْ: أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»^(١)، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ»^(٢)، «أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ»^(٣)، «نَضَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ، مِنْهُ ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لَوْلَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»^(٤)، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ»^(٥)، «وَلَوْ اسْتَعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»^(٦).

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَوَائِفِ النَّاسِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا تَعْهَدُ لِيْنَا؟ قَالَ: «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»^(٧).
وقال: «أَوْصِيَكُمْ بِالْجَارِ فَكَثَرَ حَتَّى قُلْتُ إِنَّهُ سَيُورِثُهُ»^(٨).

وقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ، وَالْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ التَّابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا تُنْفِقُ الْمَرْأَةُ شَيْئًا مِنْ بَيْتِهَا إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا». فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الطَّعَامُ؟ قَالَ: «ذَلِكَ

(١) أخرجه أحمد (٤٩٨/٣)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب: سورة التوبة (٥/٢٧٣ برقم: ٣٠٨٧) واللفظ له وقال عنه: (حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في كتاب الديات، باب: لا يجني أحد على أحد (٢/٨٩٠ برقم: ٢٦٦٩) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى (٢/٦١٩ برقم: ١٦٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى (٢/٦١٩ برقم: ١٦٥٤)، ومسلم في كتاب القسامة والخبارين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (٣/١٣٠٥ برقم: ١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب: من بلغ علماً (١/٨٣ برقم: ٢٣١) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الجهاد، باب: طاعة الإمام (٤/٢٠٩ برقم: ١٧٠٦) من حديث أم حصين رضي الله عنها.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله وتحريمها في المعصية (٤/٢٢١٧ برقم: ٢٨٩٢) من حديث أم حصين رضي الله عنها.

(٧) أخرجه أحمد (٥/٢٦٢)، والترمذي في كتاب أبواب السفر، باب: منه (٢/٥١٦ برقم: ٦١٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٨) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٨/١١١)، وفي مسند الشاميين (٢/٨) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

أَفْضَلُ أَمْوَالِنَا». قَالَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ، وَالْمِنْحَةُ مَرْدُودَةٌ»^(١)، وَالِدَيْنِ مَقْضِي^(٢)،
وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ»^(٣)،^(٤) وودع النبي ﷺ الناس فقالوا: هذه حجة الوداع^(٥).



(١) المنحة: (ما يمنحه الرجل أخاه كناقاة أو شاة فيحتلبها عاما أو أقل من ذلك أو أكثر ثم يردها، أو يمنح صاحبه من أرض يزرعها مدة ثم يردها، أو شجرة يأكل ثمرتها) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٩٣/١) بتصرف.

(٢) يجب قضاؤه.

(٣) أي الكفيل، والمعنى: أنه يلزمه ما ضمن وكفل.

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٧/٥)، وأبو داود في كتاب الإجارة، باب: في تضمين العارية (٣١٩/٢) برقم: ٣٥٦٥ من حديث أبي أمامة ؓ.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى (٦٢٠/٢) برقم: ١٦٥٥ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

المبحث الثاني:

سبب تسمية هذه الخطبة العظيمة بخطبة حجة الوداع

إن سبب تسمية هذه الخطبة بخطبة الوداع يظهر واضحاً من أسلوب النبي ﷺ في خطبته، ومن بيان جميع ما يحتاجونه، ثم الإشهاد عليهم بما بلغ وأسمع، ثم توديعه في آخر الخطبة مما يشعر أن هذه خطبة موادة وتوديع، وأن هذه هي آخر حجة يحجها ﷺ.

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ذلك من النبي ﷺ فقالوا: هذه حجة الوداع^(١).

وقد سار على ذلك كل من نقل هذه الخطبة من المحدثين، والمؤرخين فلا تسمى إلا بخطبة حجة الوداع.



(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى (٢/٦٢٠ برقم: ١٦٥٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

المبحث الثالث

أهمية الخطبة في الإسلام:

(إن الخطابة في الإسلام جزء لا يتجزأ من كيان الأمة الشامخ، ولسانها الناطق، وحرير قلمها السيل، وحركات بنائها الحثيثة، لها شأن جليل، ومقصد نبيل، وأثر ليس بالقليل، هي منبر الواعظ، وامتكا الناهض، وسلوان من هو على دينه كالقالبض، لا يعرف وسيلة في الدعوة أقرب إلى التأثير منها، ولا وقع أشد - في التلقي بالقبول في نفوس الناس - من وقعها، وهي مهنة النبي ﷺ ومنبره، ومبتدؤه وخبره بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، كما أنها ميدان الدعاة الرحب، ومنهل الظامئين العذب، وسهل الواطئين الرطب.

وبالنظر إلى ما لهذا الأمر من عظم، فإن التهاون بشأنه لخطب جلل، والنأي عنه فتوق وخلل، ولأنك إذا أردت الحكم على أمة من الأمم في ثقافتها ووعيتها، وفي صحتها وعيها، فانظر إلى خطاباتها وما تحويه خطبهم، وإلى منابرها وأين منها هم.

الأمة الإسلامية أمة غراء، سمة شريعته أن يعبد الله وحده في الأرض، وزمام هذا وقطب رحاه هو الدعوة إلى ذلك وبثه بالأقوال والأفعال. ولما كان القول باللسان له وقع في القلب، وتأثير حسن في أذن السامع، ولأن الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهل الإسلام لتأييده ونصره، ونشر تعاليمه ومبادئه على أحسن وجه وأكمل حال؛ فإن مخاطبة الحشود والجماعات قلما تتفق بصفة متكررة إلا في الجمع والأعياد، ولعل من أوائل أنواع الخطابة في الإسلام هو ما صدع به المصطفى ﷺ بين ظهرائي قريش بعدما أنزل الله عليه قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فصعد على الصفا ثم نادى: «يَا صَبَاحَا» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا مَا لَكَ قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]^(١).

فخطابة النبي ﷺ في هذا الموضع لم يعهد لها من قبل مثيل بهذه الكيفية، وهذا التوقيت وهذه الجراءة، ولذلك كانت من أهم الحوادث وأعظم البواعث للدعوة الجهرية التي أطلقت الألسن من عقابها، وأثارت الخطابة في الإسلام من مكنمها، وأغرقت العقول بأحكامها والتفنن فيها، واختلاب الألباب بسحر بياها فوق ما كانت عليه في جاهليتها، كيف لا ورسول الله ﷺ هو القائل في معرض حديث عن الخطبة: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: سورة سبأ (٤/١٨٠٤ برقم: ٤٨٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: قوله في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١/١٩٣ برقم: ٣٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: الخطبة (٥/١٩٧٦ برقم: ٤٨٥١)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٢/٥٩٤ برقم: ٨٦٩).

وبعد فرض صلاة الجمعة وخطبتها أصبحت صلاة النبي ﷺ بجمهور الناس تتكرر نهاية كل أسبوع؛ مما أضفى على الخطبة شيئاً من الأهمية والمكانة؛ لأنها منبر التوجيه والإرشاد، فضلاً عن الأعياد والمناسبات العامة كال�سوف والاستسقاء، ثم ورثها من بعده خلفاؤه الراشدون، وهم أركان البلاغة، ودعائم البيان، وسادات الفصاحة، ثم من بعدهم ملوك بني أمية وعماهم، ثم خلفاء بني العباس، ثم اتسعت حتى أصبحت في العلماء والمشايخ، إلى أن اتسع نطاقها لما هو أبعد من ذلك حتى أصبح في مصرٍ واحدٍ في هذا العصر أكثر من ألفي جامع، والله الحمد والمنة^(١).

وقد اشتهر في أمة الإسلام خطباء كثيرون يصعب حصرهم، غير أن من أشهرهم علي بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس ؓ، وهو الذي قالوا عنه: إن ابن عباس: خطب بمكة وعثمان ؓ محاصر خطبة لو شهدتها الترك والديلم لأسلمتا. وقد ذكره حسان بن ثابت ؓ فقال:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتقطات لا ترى بينها فضلاً
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع لذي إربة في القول جداً ولا هزلاً
سموت إلى العليا بغير مشقة فلت ذراها لا ديناً ولا وغلاً^(٢)

وقال الحسن: كان عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أول من عرف بالبصرة، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران، ففسرهما حرفاً حرفاً. وكان والله مثجاً يسيل غرباً^(٣)، وكان من الخطباء أيضاً عطار بن حاجب بن زرارة، وقد قال فيه الفرزدق بن غالب:

ومنا خطيب لا يُعاب وحاملٌ أغرُّ إذا التفت عليه المجامع^(٤)

وكان من الخطباء المشاهير أيضاً عبدالله بن عروة بن الزبير، وزيد بن علي بن الحسين، والفضل بن عيسى الرقاشي، وقس بن ساعدة، وعمرو بن سعيد الأشدق، وأبو الأسود الدؤلي، ومنهم أيضاً شبيب بن أبي شيبه، والحسن البصري، وبكر بن عبدالله المزني، ومالك بن دينار، ويزيد الرقاشي، ومحمد بن واسع الأزدي، وغيرهم كثير وكثير، ليس هذا محلاً لحصرهم.

ولقد أعجبنى كلام جميل لطيف للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله يذكر فيه أهمية الخطبة وها أنا أوجز شيئاً منه لأجل أن تحل الفائدة محلها.

(١) من مقدمة كتاب "الشامل في فقه الخطيب والخطبة" للدكتور سعود الشريم إمام وخطيب المسجد الحرام (ص: ٥).

(٢) البيان والتبيين للجاحظ (ص: ١٧٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

فقد قال رحمه الله: (إني أحاول أن ألقى اليوم خطبة، فلا تقولوا قد شبعنا من الخطب، إنكم قد شبعتم من الكلام الفارغ، الذي يلقيه أمثالي من مساكين الأدباء، أما الخطب فلم تسمعوها إلا قليلاً، الخطب العبقريات الخالدات التي لا تنسج من حروف، ولا تؤلف من كلمات، ولكنها تنسج من خيوط النور الذي يضيء طريق الحق لكل قلب، وتحاك من أسلاك النار التي تبعث لهب الحماسة في كل نفس).

ولا تقولوا: وماذا تصنع الخطب؟ إن خطب ديموسين صبت الحياة في عروق أمة كادت تفقد الحياة، وهي كلمات وقفت سداً منيعاً في وجه أعظم قائد عرفته القرون الأولى، الإسكندر، ووجه أبيه من قبله: فيليب. وخطبة طارق هي التي فتحت الأندلس، وخطبة الحجاج أخضعت يوماً العراق، وأطفأت نار الفتن التي كانت مشتعلة فيه، ثم وجهته إلى المعركة الماجدة، ففتح واحد من قواد الحجاج أكثر مما فتحت فرنسا في عصورها كلها، وبلغ الصين، وحمل الإسلام إلى هذه البلاد كلها، فاستقر فيها إلى يوم القيامة، ذلك هو قتيبة بن مسلم.

ولما اجتاحت نابليون بروسيا، ما أعاد لها حريتها، ولا ردَّ عليها عزمها، إلا خطب (فخّته) التي صارت لقومه كالمعلقات يحفظها في المدارس الطلاب... الخ^(١).

هذا حاصل كلام الشيخ - رحمه الله تعالى - والذي من خلاله يتضح شيء من الأهمية لخطب الجمع والمواسم من جهة التأثير على الناس في دعوتهم إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة. فله ما أعظم رتبة الخطباء، وما أكرم مكانتهم. إنهم يغدون في خمائل الخطابة، فتراهم تارة يحذرون، وتراهم تارة يبشرون، وأخري يعظون، ورابعة يذكرون، يستلينون الناس بالقول إذا قسوا، ويستخضعونهم به إذا عصوا، ويمتلكون أفئدتهم بالرغبة والرغبة أخرى، فله ما أعظم محل الخطباء في النفوس، وأنفذ كلامهم في القلوب، وأشد إثارتهم للعواطف، وبالله كم تتجه الأنظار نحوهم، وتحقق الأبصار شاخصة بهم، وتلتف حولهم القلوب، وتترامى إليهم الآمال.



(١) هتاف المجد للشيخ علي الطنطاوي (ص: ٢٣).

القسم الثاني:

دراسة خطبة دراسة دعوية تطبيقية وهي فيما يلي:

- ١- تهيئة الجو المناسب للدعوة.
- ٢- أحسن أساليب الدعوة، الدعوة بالقول.
- ٣- اختيار الوقت المناسب.
- ٤- ترك التكلف حال الدعوة إلى الله تعالى.
- ٥- الصوت المناسب حال الدعوة.
- ٦- استخدام أسلوب السكينة اللطيفة عند الإلقاء.
- ٧- ليست الدعوة محصورة بالقول.
- ٨- البدء بالحمد لله، والصلاة والسلام على النبي ﷺ.
- ٩- براعة الاستهلال.
- ١٠- إشراك المدعوين في الدعوة عن طريق الحوار.
- ١١- اختيار الموضوع المناسب.
- ١٢- استيعاب المدعوين بالدعوة.
- ١٣- لا مانع من التصريح أحياناً للمصلحة.
- ١٤- ضرب المثال.
- ١٥- استخدام الإشارة.
- ١٦- استخدام التكرار.
- ١٧- استقبال المدعوين بالوجه.
- ١٨- الدعاء للمدعو.
- ١٩- إجابة السائل بأكثر مما سأل ليستفيد ويستفيد غيره.
- ٢٠- الرفق في التعامل مع المدعوين.
- ٢١- استخدام أسلوب الترغيب.

القسم الثاني:

دراسة الخطبة دراسة دعوية تطبيقية وهي:

الدرس الدعوية التطبيقية من خطبة حجة الوداع:

الدروس الدعوية في خطبة الوداع كثيرة منها:

١- تهيئة الجو المناسب للدعوة:

إن تهيئة الجو للدعوة أمر مهم للغاية، وذلك أن جلوس المدعو بإنصات يجعله أكثر فائدة، وأعظم استيعاباً من أن لو كان هناك ما يشغله. ولذلك الدراسات الحديثة تهتم كثيراً بجذب انتباه المتعلم، لأن ذلك أبلغ في استفادته مما يُعرض ويقدم له.

الدرس من قوله ﷺ لجريير ؓ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ».

٢- أحسن أساليب الدعوة، الدعوة بالقول:

إن من أحسن الأساليب الدعوية هو الدعوة بالقول، ووعظ الناس وتذكيرهم عن طريق الخطب، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وفي الآية حث على الدعوة إلى الله سبحانه، وبيان فضل العلماء الداعين إليه على بصيرة، وفق ما جاء عن رسول الله محمد ﷺ، وهذا من قول الراوي: (فخطبهم يوم النحر).

٣- اختيار الوقت المناسب:

اختيار الوقت المناسب للدعوة وللموعظة، فالنبي ﷺ قد اختار يوم النحر، يوم الحج الكبير، فاختر ذلك الوقت كان مناسباً حيث أن الناس في هذا اليوم العظيم قد قضوا حجتهم بوقفهم بعرفة، ورجعوا جرة العقبة، فكان هذا الوقت مناسباً للتذكير والوعظ.

الدرس من قول الراوي: (فخطبهم يوم النحر، حين ارتفع الضحى، بين الجمرات).

٤- ترك التكلف حال الدعوة إلى الله تعالى:

عدم التكلف في وعظ الناس ودعوتهم، فهذا النبي ﷺ وعظهم وذكرهم وهو على ناقته العضاء، وقد جاءت الشريعة بالنهي عن التنطع في الكلام، ويلحق به التكلف في الحال والهيئة.

وهذا لا يجعلنا نهمّل اهتمام الداعية بمظهره، وحسن طلعته، فقد كان النبي ﷺ يحطّب وعليه حلة يمانية، لكن التحذير من التكلف والتنطع في ذلك، فهذا النبي كان: (على ناقتة العضباء واضعاً رجله في الغرز).

٥- الصوت المناسب حال الدعوة:

على الداعية وهو يحدث الناس أن يحرص على إيصال صوته لكل المدعين، وأن يرفع صوته إن كان صوته غير مرتفع، وله أن يستخدم الوسائل الحديثة التي تساعد في إيصال صوته للجميع المدعويين، فهذا النبي ﷺ يتناول ليسمع الناس، فاستخدم النبي ﷺ لتلك الطريقة فيه دليل على أنه لو كان هناك طريقة يستطيع من خلالها تبليغ قوله لاستخدمه ﷺ، فهذا النبي ﷺ كان: (يتناول ليسمع الناس).

٦- استخدام أسلوب السكينة اللطيفة عند الإلقاء:

فعندما يكون الداعي منطلقاً في وعظه قد يكون أسلوبه وسرده يجعل بعض السامعين يشرد بذهنه، فعندما يمر على سؤال مثلاً أو غيره فيسكت سكينة لطيفة هي مما يشد انتباه السامع، وقد استخدمه النبي ﷺ هنا، قال الراوي عنه ﷺ: (فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ).

٧- ليست الدعوة محصورة بالقول:

يظن كثير من الناس أن الدعوة خاصة بالقول، ويرون أنه لا يمكن الدعوة إلى الله إلا بهذا الأسلوب، مع أن الأساليب والطرق الدعوية كثيرة جداً، فهذا أسامة ﷺ يظل النبي ﷺ من الحر، وابن مسعود ﷺ يقود ناقتة، فهما مشاركان في الدعوة، بخدمة الخطيب العظيم ﷺ، من قول الراوي: (وأسامة رافع عليه ثوبه يظله من الحر، وبلال أخذ بقود راحلته).

٨- البدء بالحمد لله، والصلاة والسلام على النبي ﷺ:

وهذا فعله ﷺ في كل خطبه ومواعظه، وهذا أسلوب نبوي، في تهيئة السامع لحديث المتكلم، وقد جرت عادة المؤلفين، والخطباء، والوعاظ على البدء بالحمد لله والصلاة على النبي ﷺ وهذه طريقة حميدة.

٩- براعة الاستمالة:

وهذا أسلوب بلاغي مهم في جذب انتباه السامعين، وقد استخدمه النبي ﷺ في هذه الخطبة في مواضع كثيرة، وفي غيرها من خطبه ﷺ.

ومن أنواع الاستهلال التي استخدمها النبي ﷺ في هذه الخطبة، ذكر شيء قريب وجديد على المستمعين، فقد بين لهم أن الزمان استدار وعاد كل شيء على ما هو عليه يو خلقه الله تعالى، ثم استخدم أسلوباً أخرى وهو: أسلو الاستفهام، فقد سأل النبي ﷺ الصحابة فقال: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحَجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلَدَةَ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى.

١٠- إشراك المدعوين في الدعوة عن طريق الحوار:

إشراك المدعو في الدعوة، واستخدام أسلوب الحوار معه مما يجعله يعي الدعوة ويفيد منها، ولا تثقل عليه، وكذلك يحل إشكالات عند المدعو، وقد استخدمه النبي ﷺ كما سبق في النص السابق من حوار النبي ﷺ مع الصحابة، ومشاركته لهم في الخطبة.

١١- اختيار الموضوع المناسب:

ويكون اختيار الموضوع يتحكم فيه الوقت، وحال المدعو، وأسلوب الداعي، فأما بالنسبة للوقت فلا يناسب أن يتحدث الداعي في مواسم الأعياد عن الموت؛ وأما بالنسبة للمدعو فقد يكون المدعو عامي يحتاج لبيان أحكام الوضوء والصلاة، فلا يناسب أن يحدث عن أحكام الفرائض، والقصاص والديات وغيرها، وفي هذا اليوم العظيم وعظ النبي ﷺ الناس بما يحتاجون من مواضيع فتحدث عن التوحيد، والدعاء، والأعراض، والتعامل مع النساء، والجماعة والطاعة، وأحكام الجوار، والصلاة، والصيام، والتعاملات المالية، وغيرها من الحكم التي يحتاجونها في ذلك اليوم.

١٢- استيعاب المدعوين بالدعوة:

فالنبي ﷺ في مواطن كثيرة يستوعب المدعوين، رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً، وفي هذه الخطبة أوصى بالأولاد بقوله: «أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا وَلَدٌ عَلَى وَالِدِهِ»، وكذلك النساء في قوله ﷺ: «أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ: أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ».

١٣- لا مانع من التصريح أحياناً للمصلحة:

قد يكون التصريح أحياناً فيه مصلحة راجحة، فهذا النبي ﷺ صرح باسم عمه العباس، وعمه الحارث، وبين حكماً لا يصلح بيانه إلا بالتصريح.

١٤- ضرب المثال:

وهذا أسلوب قرآني ونبوي، وقد استخدمه النبي ﷺ هنا في هذه الخطبة العظيمة من قوله ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ دَمٍ أَضْعُ مِنْ دَمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، كَانَ مُسْتَرْضِعاً فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلْتُهُ هَذَا».

١٥- استخدام الإشارة:

وهذه مهمة للخطيب والداعي، وهذا كثير من فعله ﷺ، وهنا من فعله ﷺ وفيه: «ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ».

١٦- استخدام أسلوب التكرار:

وهذا أسلوب بلاغي، وقد استخدمه النبي ﷺ هنا بقوله: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ».

١٧- استقبال المدعوين بالوجه:

وهذا أدب في التعامل مع الناس عامة، وفي الدعوة خاصة، فعلى الداعي أن يستقبل المدعو بوجهه كله، ليعلم اهتمام الداعي به، وحرصه عليه، وقد استخدمه النبي ﷺ في هذه الخطبة فاستقبل الناس بوجهه وهو يحدثهم.

١٨- الدعاء للمدعو:

وهذا أسلوب نبوي ناجع، فعندما يستخدم الداعية الدعاء للمدعو فإنه يجعله يعلم علم اليقين صدق الداعي في نصحه له، وحرصه عليه، وفي هذه الخطبة استخدمه النبي ﷺ من قوله ﷺ: «نُضِرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ».

١٩- إجابة السائل بأكثر مما سأل ليستفيد ويستفيد غيره:

فإذا سأل أحد المدعوين سؤالاً فعلى الداعي أن يفيد أكثر مما سأل، لأنه قد لا يجده في غير هذا الموضوع، ولعل في الحاضرين من يستفيد مما يجيبه الداعي، فهذا النبي استغل سؤال الرجل الذي سأل بما تعهد إلينا فقال النبي ﷺ: «فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَوَائِفِ النَّاسِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا تَعْهَدُ الْيَنَاءَ؟ قَالَ:»

اعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ».

٣٠ - الرفق في التعامل مع المدعويين:

فالداعية رحمة للمدعويين فلا يكون دعوتهم بالعنف بل بالرفق واللين، فعند التأمل في مجمل الخطبة يلمس الناظر فيها رفقه ﷺ بأمته، ويظهر ذلك من حرصه ﷺ على أمته.

٣١ - استخدام أسلوب الترغيب:

وهذا هو الأصل أن يرغب العباد فيما عند الله، فهذا النبي ﷺ يعد أصحابه إن أقاموا دين الله بالجنة: «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»، إلا إذا احتاج الداعية إلى التهيب فلا بأس لكن الأصل دعوة الناس بالترغيب فالنبي ﷺ قد استخدم هذا الأسلوب من قوله ﷺ: وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ التَّابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».



الخاتمة

الخاتمة

إن الإنسان مهما بذل واستفرغ جهده ووسعه وطاقته فهو مقصر وقاصر، إذ أرى الله ﷻ الكمال إلاّ له ﷻ، إنّ ما سطرته في رسالتي هذه هو جهد من مقل، وعمل يحتاج إلى إكمال، وتلك طبيعة النقص التي جبل عليها البشر، كيف وقد اجتمع على كثرة ذنوبي، وقصور فهمي وعلمي، وقلّة بضاعتي، وكلال ذهني، وما أجمل وأوفق ما قيل:

«إني رأيت ألاّ يكتب إنسان كتاباً في يوم إلاّ قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر»^(١).

وقال ابن القيم في شأن التأليف: «وإنما ما أودع من المعاني والنفائس رهن عند متأمله، له غنمه وعلى مؤلفه غرمه، وله ثمرته ومنفعته، ولصاحبه كلفه ومشقته، مع تعرضه لطعن الطاعنين ولاعتراض المناقشين، وهذه بضاعته المزجاة وعقله المكدود يعرض على عقول العالمين... فلك أيها القارئ صفوه ومؤلفه كدره، وهو الذي تجشم غراسه وتعبه، ولك ثمره، وها هو قد استهدف لسهام الراشقين، واستعذر إلى الله من الزلل والخطأ ثم إلى عباده المؤمنين»^(٢).

لذا التمس القارئ الكريم، والمطلع الفاضل، أن يسدد الخلل، ويصلح الزلل، أسأل الله أن يصلح لي وله القول والعمل، وأرجو أن يظن بي القارئ خيراً، فقد أقمت على هذا العمل أرجو نفع دين الله وعزته ورفعته، مشغلاً بطاعة الله في طلب العلم والبحث والدرس، متحريراً نفي الجهل عن نفسي، أسأل الله أن أكون ممن سعى لذلك ووفق له.

وما ذاك إلاّ لأن العلم مطلب عزيز وجاهه عظيم، وهو من الواجبات التي ينبغي على الإنسان أن يسعى للحصول عليه، أداءً للواجب ورغبة في إبراء الذمة، علماً أنه إذا بذل الإنسان عمره فيه لم يجد إلاّ بعضه.

(١) هذه المقالة كتبها شيخ صناعة الكتابة في عصره القاضي: عبد الرحيم بن علي البيساني (ت: ٥٩٦هـ) كتبها إلى نائبه في وزارة الكتابة الأديب الشهير العماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ)، ثم اشتهرت عن العماد. انظر: توضيح الأحكام للباسم (١/٥).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (ص: ١٥).

لا يخفى على أحد ما للبحث والدرس من ثمرات لا تنكر وإيجابيات لا تخفى، ومن خلال إقامتي على هذا البحث كتب الله ﷻ لي الإفادة في جوانب متعددة، واسأل الله ﷻ أن يجعلها من العلم النافع ولعل

أهم ما خرجت به من النتائج في بحثي هذا ما يلي:

١ - حرص النبي ﷺ على أمته، وتبليغهم دين الله.

٢ - أهمية الخطب في الدعوة إلى الله تعالى.

٣ - حرص الصحابة على نقل سنته ﷺ.

٤ - على الداعية أن يهتم بأساليب الدعوة، ولا يقف على أسلوب واحد، وخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه وسائل الدعوة.

٥ - استخرجت من هذه الخطبة ٢١ درساً وأسلوباً دعوياً، وكل هذه من جهد الفقير لم أرجع فيها لمرجع بل من خلال الاستقراء والاستنباط، والحمد لله، والله المستعان.

وختاماً: فإني أشكر ربي على ما أمدني به من العون في كتابة هذا البحث، وأرجوه أن يغفر لي ما وقع فيه من خطأ وما حواه من زلل فهو حسبي ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، حمداً يملأ السماوات والأرض وما بينهما، وما شاء ربنا من شيء بعد، بمجامع حمده كلّها ما علمنا منها وما لم نعلم، على نعمه كلّها ما علمنا منها وما لم نعلم، وعدد ما جرى به قلمه، وأحصاه كتابه، وأحاط به علمه.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفهارس

فهرس المراجع والمصادر^(١)

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ط ١ - ١٩٦٨ م - تحقيق المحامي فوزي عطوي - بيروت - لبنان.
- ٣ - الجامع الصحيح المختصر - للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ) - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق - ط ١ - ١٤٠٧هـ - دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - لبنان.
- ٤ - سنن ابن ماجه بحاشية السندي وزوائد البوصيري (مصباح الزجاجة) - للإمام محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - ط ١ - ١٤١٤هـ - دار الحديث - القاهرة - مصر.
- ٥ - سنن أبي داود للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) - تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيخا - ط ١ - ١٤٢٢هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ٦ - سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) - تحقيق وشرح: أحمد بن محمد شاكر - المكتبة التجارية - مكة المكرمة - السعودية.
- ٧ - السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) - تحقيق: محمد عبد القادر عطا - ط ١ - ١٤١٤هـ - دار الباز - مكة المكرمة - السعودية.
- ٨ - سنن النسائي - للإمام المحدث أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) - بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، وحاشية الإمام السندي (ت ١١٣٨هـ) - ط ٢ - ١٤١٢هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ٩ - الشامل في فقه الخطيب والخطبة للدكتور سعود الشريم - ط ١ - ١٤٢٣هـ - دار الوطن للنشر - والتوزيع - الرياض - السعودية.

(١) مرتبة على حروف المعجم.

- ١٠- صحيح مسلم - للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ١١- غريب الحديث - القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد - تحقيق: الدكتور. محمد عبدالمعيد خان - ط ١ - ١٣٩٦هـ - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- ١٢- القاموس المحيط - لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - ط ٢ - ١٤٠٧هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- ١٣- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري - ط ١ - دار صادر - بيروت - لبنان.
- ١٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل - مؤسسة قرطبة - القاهرة - مصر. (بدون تاريخ).
- ١٥- مسند الشاميين - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي - ط ١ - ١٤٠٥هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- ١٦- المسند - للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) - شرح وتعليق: الشيخ أحمد شاكر، وأكملة حمزة أحمد الزين - ط ١ - ١٤١٦هـ - دار الحديث - القاهرة - مصر.
- ١٧- المعجم الكبير - للطبراني - تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي - ط ٢ - مصورة.
- ١٨- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) - تحقيق محمود الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي - أنصار السنة المحمدية - لاهور - باكستان.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤	المقدمة
٤	خطبة الحاجة
٤	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
٥	منهج الدراسة
٥	خطة البحث
٨	التمهيد
١٠	<p>القسم الأول:</p> <p>الحديث خطبة الوداع دراسة تأصيلية</p> <p>المبحث الأول: الحديث وتخريجه وفيه ثلاثة مطالب:</p> <p>الأول: جمع حديث خطبة الوداع، بجميع ألفاظها.</p>
١٤	الثاني: سبب تسمية هذه الخطبة العظيمة بخطبة حجة الوداع.
١٥	الثالث: أهمية الخطبة في الإسلام.
١٨	<p>القسم الثاني:</p> <p>دراسة الخطبة دراسة دعوية تطبيقية وهي كالتالي:</p> <p>١ - تهيئة الجو المناسب للدعوة.</p>

الصفحة	الموضوع
١٩	٢ - أحسن أساليب الدعوة، الدعوة بالقول.
١٩	٣ - اختيار الوقت المناسب.
١٩	٤ - ترك التكلف حال الدعوة إلى الله تعالى.
٢٠	٥ - الصوت المناسب حال الدعوة.
٢٠	٦ - استخدام أسلوب السكينة اللطيفة عند الإلقاء.
٢٠	٧ - ليست الدعوة محصورة بالقول.
٢٠	٨ - البدء بالحمد لله، والصلاة والسلام على النبي ﷺ.
٢٠	٩ - براعة الاستهلال.
٢١	١٠ - إشراك المدعوين في الدعوة عن طريق الحوار.
٢١	١١ - اختيار الموضوع المناسب.
٢١	١٢ - استيعاب المدعوين بالدعوة.
٢٢	١٣ - لا مانع من التصريح أحياناً للمصلحة.
٢٢	١٤ - ضرب المثال.
٢٢	١٥ - استخدام الإشارة.
٢٢	١٦ - استخدام التكرار.
٢٢	١٧ - استقبال المدعوين بالوجه.
٢٢	١٨ - الدعاء للمدعو.
٢٢	١٩ - إجابة السائل بأكثر مما سأل ليستفيد ويستفيد غيره.

الصفحة	الموضوع
٢٣	٢٠ - الرفق في التعامل مع المدعوين.
٢٣	٢١ - استخدام أسلوب الترغيب.
٢٤	الخاتمة
٢٧	الفهارس
٢٨	المصادر والمراجع
٣٠	فهرس الموضوعات

والحمد لله رب العالمين

